وقد مدَّ الجاحظ حديثه إلى عمليات لُغَوِيَّة تتصل بطبيعة المعنى ، كالاقتباس ، والتقسيم ، واللغز ، والأسلوب الحكيم ، والهزل الذي يراد به الجِدّ .

ومن خلال استيعاب النقد لبعض المفاهيم اليونانية والفارسية والهندية يخطو الجاحظ إلى النقد الموضوعي . ولعل أهم جهد له في هذا المجال ، أنه فتح البابَ للشعراء المحدَثين لكي يحتلّوا مكانهم بين شعراء العربية الكبار ، في الوقت الذي كان فيه الاعترافُ مقصوراً على القدامى منهم ، فلم يكن للمحدَث في بيئة النقد القديم مكانة حقيقية . ولم يتحرج الجاحظ من الحديث عن المولَّدين وما فيهم من طبع وموهبة [1] .

وعلى الرغم مما قاله من أن عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب أشعرُ من عامة شعراء الأمصار والقُرى ومن المولَّدة – نجده يعود ويقرِّر أن ذلك ليس بواجب لهم في كل ما قالوه [2] .

وبهذا أخذ بيد بعض الشعراء الذين أتيحت دراستهم فيما بعد دراسةً أكدت أن وجودهم في ميدان الشعر كان علامة على تحوُّل الذوق العربي القديم ؛ لكي يتقبل شعرَ شاعر كأبي نواس ، الذي وجد ناقداً كالجاحظ يقدم بعض أشعاره على شعرِ للمهلهل بن أبي ربيعة [3] .

من هذا المنطلق يُهمل الجاحظ العصبيات المذهبية والأخلاقية والدينية ، ويعتبر الحياء في الفن أمراً معيباً ، ويهاجم بعض النقاد الأدعياء الذين يعيبون

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٢) الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون . ط ٢ ١٩٦٥ . ج ٢ ، ص ٢٧ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٠ .